المبحث الثاني
الدروس والعبر المستفادة من
غزوة بدر الموعد، أو الآخرة، أو الثانية، أو الصغرى

١ ـ خطورة العدو الداخلي:

يقول أ/ فتح الباب: «ذلك أن القضاء على العدو الداخلي ضرورة حتمية لمواجهة العدو الخارجي، وبغير ذلك لم يكن في وسع المسلمين التصدي لقريش الموتورة الحاقدة، والاضطلاع بمسؤوليات نشر الدعوة، لقد اجتث بإجلاء اليهود ذلك الخطر الجسيم الذي كان يتهدد المسلمين في المدينة، خطر عملاء قريش وأذنابها ممن كانت تتخذ مخلبًا لتخريب الجبهة الإسلامية الصاعدة في يثرب، وشغلها عن عدوها الأكبر المتمثل في قريش بما يثيره اليهود من شائعات وفتن بين المهاجرين والأنصار، مستهدفين من ذلك استنـزاف طاقة المسلمين في تلك الحرب النفسية البغيضة، وصرف أنظار النبي ﷺ وصحبه عما يدبره أبو سفيان وعصبته من مؤامرات واتفاقات مع القبائل لغزو المسلمين، ووقف تيار الدين الجديد وما يشكله من تحد سياسي واقتصادي واجتماعي لها». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ١١١-١١٢].

٢ ـ استئصال شوكة اليهود:

يقول أ/ فتح الباب: «كان يهود بني النضير شوكة في جنب الإسلام، وقد استؤصلت تلك الشوكة اللعينة، فآن للمسلمين أن يملكوا القدرة على الحركة والانطلاق في مواجهة أعدائهم، ودب الرعب في أشياع اليهود ممن أسلموا ولما يدخل الإيمان قلوبهم فنافقوا، وأقاموا على أمل فرصة تحين فيغتنمونها للإيقاع بالمسلمين وشفاء نفوسهم المريضة.

وساد الرخاء في المدينة بعد أن وزعت على المسلمين أسلاب الحرب مما ترك اليهود وراءهم من أموال كثيرة، واشتد ساعدهم بما غنموا من عدة حربية واستغنى المهاجرون عن معونة الأنصار بما قسم لهم من الفيء، فكان المأمن في الدار وكانت نعمة الثراء، وأتيح لهم قسط من الراحة والاستقرار بعد عناء الحرب في بدر وأحد والمدينة، وانصرف الرسول ﷺ إلى تنظيم أمور المسلمين، وإقامة دعائم الدولة الإسلامية الناشئة، وإعدادها للوفاء بمسؤولياتها في الغد القريب». [القيم الخلقية لفتح الباب ١١٢].

٣ ـ أهمية القيادة المتيقظة:

يقول أ/ فتح الباب: «بيد أن عينه ﷺ كانت على الصحراء التي تفصل بين مكة حيث العدو المتربص، وبين يثرب حيث جنود الله الرابضون حوله في انتظار ما يأمر به، ولم يغب عن فطنته أن أبا سفيان رأس الشرك سوف ينفذ تهديده، فالنصر الذي حققته قريش في أحد كان نصرًا مؤقتًا ورخيصًا لم يحقق غايته من القضاء على الإسلام، وما كانت أحد إلا معركة واحدة في حرب مصيرية.

وكان أبو سفيان يدرك تلك الحقيقة ويعلم مدى صلابة الرسول ﷺ وأصحابه وقوة إيمانهم وإصرارهم على هزيمة الشرك مهما طال المدى وشقت التضحيات، ومن ثم قال بعد أحد: «يوم بيوم بدر والموعد العام المقبل»، وأعلن تحديه للنبي ﷺ بدعوته إلى الاشتباك في بدر مرة أخرى.

وها هو ذا العام أوشك أن ينصرم، واقترب موعد الصدام المرتقب، ولكن أبا سفيان يتردد، فقد كان العام عام جدب مما حال دون استعداد قريش وقدرتها على مجابهة المسلمين في معركة فاصلة، وهو يعلم أن محمدًا سوف يخرج إلى بدر متحديًا، فليكن اللقاء بعد هذا العام، وليبعث عدو الإسلام أحد أتباعه إلى المدينة للتمويه والتضليل بقصد تحقيق رغبته في التأجيل دون أن يريق ماء وجهه، ويعلن عجزه عن القتال فتكون فضيحة قريش أمام العرب أجمعين، ويعلو شأن المسلمين.

وقال نعيم عميل أبي سفيان للمسلمين في لهجة الصديق المشفق إن قريشًا قد حشدت كل طاقاتها وأعدت جيشًا لم تشهد الجزيرة في تاريخها مثيله قوة وعتادًا مستهدفة شن حرب شعواء على المسلمين أشد مما واجهوا في أحد، حتى لا تقوم لهم بعدها قائمة أبدًا، وأن الخير لهم ألا يبادروا بالهجوم في ذلك العام الموعود، وأن يرجؤوا ذلك حتى يكملوا عدتهم ويصبح في مقدورهم قبول التحدي.

موقف بطولي: وكادت تلك الخطة الماكرة أن تثمر كما قَدَّرَ كبير المشركين، فتوجس كثير من المسلمين شرًّا وداخلهم الخوف، فمالوا إلى إرجاء منازلة قريش إيثارًا للهدوء والسكينة ولما يمض إلا بعض عام على معركة أحد، فتصدى لهم رسول الله ﷺ في موقف من أعظم ما خلده التاريخ للبطولة والأبطال، موقف أدرك ﷺ أنه لا مفر منه للقضاء على أكبر خطر يهدد إحدى القيم الروحية الأساسية في العقيدة الإسلامية، قيمة الجهاد والفداء في سبيل الله، وما ينبثق منها من قيم الصبر على الشدائد ونبذ الاستكانة والإخلاد إلى متع الحياة والقعود عن إتمام الرسالة، والتراخي في التضحية وبخاصة في وقت عصيب كان الإسلام خلاله ما يزال في مفترق الطرق». [القيم الخلقية لفتح الباب ١١٣-١١٤].

٤ ـ الإيمان القوي لا يتأثر بالمحنة:

يقول أ/ فتح الباب: «إن أول درس علمه سيدنا محمد ﷺ للمسلمين هو الإيمان الذي لا يتزحزح ولا يتزعزع مهما اشتدت المحنة، الإيمان بالحق مهما قَلَّ أصحابه عددًا وعدة في مواجهة الباطل مهما زاد أشياعه وتوافرت إمكانياته، الإيمان بالانتصار الحتمي للعدل على الظلم والبهتان، وللمساواة على الطغيان، وللنور على الظلام، الإيمان بضرورة البذل حتى الرمق الأخير دفاعًا عن النفس والوطن والعقيدة، الإيمان بأن الحق أقوى من الباطل، وأن الفجر يعقب ظلمات الليل المدلهمة.

وعلمهم أن الله اصطفاهم من دون الناس ليحملوا رسالته إلى العالم أجمع؛ وليخلصوا العالم من شرور العدوان والبغي والضلال، وأن يفتدوا تلك الغاية المقدسة بكل ما ملكت أيديهم من أموال، وما منحوا من قوة وما سرى في شرايينهم من دماء.

وعلمهم أن رضا الله غاية لا يدركها إلا الأطهار، وأن الاستشهاد في سبيله شرف لا يرقى إليه إلا الأبطال، وأن الحياة لا تستحق أن تُعاش على الظلم، وأن الله أكبر وأن النصر للمؤمنين».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ١١٤-١١٥].

٥ ـ قوة التصميم:

يقول أ/ حوى: «فمن المعروف أنه في كل قضية من القضايا تجد الناس متردد ومُقْدِم، وههنا تأتي مهمة القيادة في اتخاذ القرار لتحسم التردد، وبعد اتخاذ القرار تجد ناسًا يثبِّطون الهمم وههنا تأتي مهمة القيادة في الحسم والتصميم وردِّ كل التردد والقضاء عليه، فلا تعطي فرصة لمؤجل أو مسوِّف أن يفسد الموقف.

وإنك لترى هذا كله مجسدًا برسول الله ﷺ في كل موقف، وأظهر ما يظهر ذلك في غزوة بدر الآخرة، قارن بين موقفه ﷺ وموقف أبي سفيان لتدرك الفارق بين القيادة المصممة والقيادة المترددة».

[الأساس في السنة لحوى ٢/ ٦٥٣].

٦ـ حزم النبي ﷺ وقوة عزيمته:

ويقول د/ الحميدي: «لقد ظهر في هذا الخبر مثل من حزم النبي ﷺ وقوة عزيمته وصدقه ووفائه وإدراكه الدقيق لعوامل القوة والانتصار، وعوامل الضعف والانهزام، حيث قال لمستشاريه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد**»، وذلك حينما أشيع في أوساط المسلمين كراهية بعضهم للخروج». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٦٦].

٧ ـ الطاعة والتسليم للقيادة:

يقول د/ الحميدي: «وفي هذه الغزوة ظهر إرجاف اليهود والمنافقين بسبب ما قام به نعيم ابن مسعود الغطفاني من السفارة لصالح قريش حيث بثَّ دعاية إعلامية واسعة عن ضخامة جيش المشركين الذي أعدوه لتلك الغزوة، فنطق اليهود والمنافقون بكلمات التخذيل والإرجاف، حيث قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع، ولكن مع الإرجاف الكبير من خارج المدينة وداخلها فإن حماس المسلمين لم يفتر وعزيمتهم لم تضعف ومعنويتهم الحربية ظلت عالية بمجرد سماعهم عن عزم النبي ﷺ على الخروج، وهذا يعتبر مثلًا عاليًا في الطاعة والتسليم لأوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ.

وموقف يُذكر لأبي بكر وعمر ﷺ حينما أشارا على رسول الله ﷺ بالخروج في الوقت الذي بلغت فيه الدعاوى الإعلامية ذروتها وتأثر بها بعض أفراد المسلمين.

ويصل المسلمون إلى بدر ويشاركون الناس في الموسم التجاري، ويصبحون أعظم الوفود كثرة، ثم يعودون بعد ثمانية أيام وقد سلموا من الأذى، وكسبوا انتصارًا معنويًّا عظيمًا على أعدائهم بدون قتال، كما أنهم ربحوا في تجاراتهم ربحًا طيبًا كما ذكر عثمان بن عفان ﷺ». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٦٦-٦٧].

٨ ـ السهر على قضايا الإسلام:

يقول أ/ حوى: «لقد عقد الموعد للمواجهة أبو سفيان يوم أُحُد، ولقد عقده من موقع القوة في زعمه، وهو بذلك يتحدى، ولكن كيف تصرف عندما حان الموعد، وكيف تصرف رسول الله ﷺ؟

ههنا سهر وهناك بطر، والعجيب أنك لا تجد في جيش أبي سفيان من عارض، ولا تجد أن أبا سفيان قد استشار، تلك علل الشرك في ذلك الدهر، قارن هذا كله ببعض ما نحن فيه: إن الكفر الآن ساهر على قضاياه، وله مؤسساته، وعنده تصميم على أمور كثيرة وهذا يقتضي منا سهرًا وتصميمًا، وعلى القيادات الإسلامية أن ترتقي في القدوة إلى أعلى قمة مستطاعة». [الأساس في السنة لحوى ٢/ ٦٥٣-٦٥٤].

٩ ـ مسؤولية القيادة في تحضير الجنود:

يقول أ/ فتح الباب: «لقد حسن الرسول ﷺ الموقف، وقضى على ذلك التردد الذي خاطر كثيرًا من رجاله قبيل أن يستشري فيصعب علاجه، فأعلن أن المسير إلى بدر أمر مقضي ولا رجعة فيه، لقد عزموا فليتوكلوا، وما كان لرسول الله ﷺ والذين آمنوا أن يخشوا المشركين، وصاح محمد ﷺ معلنًا غضبته لما بَدَرَ في صفوف المسلمين من ضعف، وما خامر القلوب من خوف، إن جنود الله لا يهابون عدوهم وعدو الله، وأن عليهم أن يكونوا دائمًا على أهبة الاستعداد للموت في سبيل تحقيق الهدف الأسمى، فلا راحة والعدو على الأبواب، ولا استكانة إلى المال والبنين، ولا مطالبة بثمن جهاد الأمس، فحياة المسلم الحق حلقات متصلة من الكفاح والإقدام، ذلك واجب القائد، والمسلمون هم قادة البشرية على طريق الحق.

وأقسم القائد الأعظم أنه ذاهب إلى بدر ولو ذهب وحده، فكانت تلك الصيحة بادرة تَحَوُّل حاسم، وسرت من نفسه القوية المؤمنة روح الشجاعة والتضحية في قلوب أصحابه، واستعادوا ذكرى انتصارهم في بدر وما وعد الله شهداءهم في أحد من الفوز بالرضوان مع الصادقين والصديقين، واسترجعوا مواقفهم الرائعة في الدفاع عن الإسلام، وذكروا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن من ينصر الله ينصره، وصغرت في نفوسهم ملذات العيش الرضي، واسترخصوا الموت زودًا عن الشرف والقيم العليا، فتدافعوا إلى أسلحتهم يحملون، وإلى دوابهم يجهزون، وإلى لباس الحرب يرتدون».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ١١٥-١١٦].

١٠ ـ مسيرة في سبيل الله:

يقول أ/ فتح الباب: «وأذن رسول الله ﷺ بالمسير إلى بدر، وولى عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول على المدينة ليرعى شؤونها ريثما يعود الجيش الإسلامي من المعركة مكلل الهامات بالثأر، وزحف موكب الإيمان يطوي الصحاري بقيادة رسول الله ﷺ موليًا وجهه إلى مكة، وفي بدر عسكر الأبطال، وقد صحت عزيمتهم على قتال قريش، وقاد أبو سفيان عصبة قريش في عدة بلغت ما يربوا على ألفي محارب، ولم تكد تقطع في مسيرتها يومين حتى فكر أبو سفيان في العودة منسحبًا إلى مكة، وجاهر قومه بما استقر عليه رأيه: «**يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب، وإن عامكم هذا لمقبل، وإني راجع فارجعوا**».

لقد كان أبو سفيان يعلم أن النصر الذي أحرزه في أحد لم يُثن من عزيمة المسلمين، وأنهم يترقبون ذلك اليوم ليضربوا ضربتهم القاضية، وأنهم قوم يؤثرون الموت استشهادًا على الحياة، فأراد أن يتقي عواقب الصراع مع غريم لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلًا، وأن يُبقي على مكانة قريش بين العرب بعد معركة أحد، فعاد أدراجه مع عصابته وقد رضي من الغنيمة بالإياب، وآثر عار الانسحاب على عار الهزيمة». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ١١٧].

١١ ـ أحياء عند ربهم يرزقون:

يقول أ/ فتح الباب: «ولبث المسلمون في بدر ثمانية أيام ينتظرون أعداء الله، وتاجروا وربحوا، وقد ارتفعت فيهم الروح المعنوية بفضل موكب الرسول العظيم ﷺ، وكفى الله المؤمنين القتال، فرجعوا إلى المدينة غانمين مطمئنين إلى قوتهم، واثقين بقدرتهم على المقاومة، ونزل قول الله ﷻ في هذه الغزوة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]». [القيم الخلقية لفتح الباب ١١٧-١١٨].

١٢ ـ إظهار قوة المسلمين والعزة الإسلامية:

يقول أ/ الشامي: «في اللقاء الذي جرى بين رسول الله ﷺ ومخشي بن عمرو الضمري التأكيد الكبير لمعنى القوة التي كان يتمتع بها المسلمون، وأن العقد الذي كان بين الفريقين يستمر بعامل قوة المسلمين لا

بعامل ضعفهم، وبناء على طلب الطرف الثاني، وفي هذا ما فيه من القوة للمسلمين وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم». [من معين السيرة للشامي ٢٨٨].

ويقول د/ قلعه جي: «لقد كان لهذا الخروج أثره في نفوس العرب، فقد أصبحت كثير من القبائل قانعة بأن الدولة الإسلامية قد توفر لها من أسباب القوة ما تستطيع به البطش بأعدائها؛ ولذلك رأينا ذلك الحوار بين رسول الله ﷺ ومخشي بن عمرو الضمري». [قراءة سياسية لقلعه جي ١٧٤].

١٣ ـ من المنتصر حقًّا في غزوة أُحُد؟:

يقول د/ الحميدي: «في هذه الغزوة ظهرت أخلاق الكفار، وظهر مَنِ المنتصر حقًّا في معركة أحد، ومَنِ المنهزم، فقد ظهرت شجاعة المسلمين العالية وإقدامهم على المكاره، ووفاؤهم بالوعد، كما ظهر جبن الكفار وفشلهم.

وظهر أن المنتصر حقًّا في معركة أحد هم المسلمون؛ لأنهم خرجوا للقتال بعد سنة بنفوس وثَّابة ومعنويات عالية، بينما تقاعس الكفار وجبنوا، وصاروا يبذلون من أموالهم لمن يخذِّل رسول الله ﷺ وأصحابه عن الخروج ليكون النكول من المسلمين حتى لا يفتضح المشركون أمام العرب، وليحتفظوا بنتائج معركة أحد التي وهموها نصرًا وليست كذلك.

إن الحملة الإعلامية التي قام بها المشركون لإثبات انتصاراتهم في أحد وتفوقهم الحربي قد انتكست على رؤوسهم وأصبحوا مثار السخرية عند العرب، وثبت للناس أن ارتباك المسلمين للمفاجأة في أحد وسقوط القتلى منهم لا يعني انهزامهم ولا ضعفهم العسكري». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٦٥-٦٦].

١٤ ـ بدر الآخرة تُظهر تحوُّل الموقف العسكري تحولاً كاملاً لصالح المسلمين:

يقول أ/ باشميل: «لقد كانت تحركات الجيش الإسلامي من المدينة حتى بدر مناورة رائعة ناجحة أثبت بها وجوده، وأعطى الدليل القاطع لأعداء الإسلام داخل المدينة وخارجها، أنه أصبح أقوى قوة مرهوبة، لا في منطقة يثرب فحسب، بل في جزيرة العرب بجمعها.

ولا أدل على ذلك من أن جيش مكة، وهو من أعظم الجيوش في الجزيرة من حيث كثرة العدد وقوة التنظيم وجودة التسلح قد هاب الجيش الإسلامي، ونكل عن حربه بعد أن خرج للقائه بموجب ميعاد سابق حدده ـ في تحد ـ قائد عام جيش مكة نفسه.

ولا شك أن حملة بدر الآخرة التي قادها النبي ﷺ قد كانت تحديًا صارخًا مهينًا لمعسكر قريش الوثني، كما أنها كانت ـ كذلك ـ بمثابة إرهاب وتأديب لجميع القبائل العربية المعادية للإسلام، والتي كانت ـ بعد ما أصاب المسلمين في أُحُد ـ تُحدِّث نفسها بالاعتداء عليهم.

فقد لزمت قريش الهدوء ولم تقم بأية حركة عسكرية ضد المسلمين بعد حملتهم هذه التي قاموا بها إلى بدر حتى موقعة الأحزاب الفاصلة التي اشتركت فيه أكثر القبائل العربية المشركة.

ومما يدل على نجاح المناورة الكبيرة التي قام بها الجيش الإسلامي حتى بدر وأن المنطقة الشاسعة الممتدة من المدينة حتى بدر وما حولها أصبحت تخشى بأس المسلمين، بعد أن كان زعماؤها يعدون العدة لسحقهم، هو أن مخشي بن عمرو الضمري ـ أحد زعماء قبائل منقطة بدر ـ قد جاء إلى النبي ﷺ وهو معسكر بها في انتظار جيش مكة، قال له ـ جاسًّا النبض وكالمحتج: يا محمد ﷺ أجئت للقاء قريش على هذا الماء، أي ماء بدر الواقع في أراضي بني ضمرة؟

فأجابه النبي ﷺ ـ بلهجة القوي الواثق من نفسه وجيشه ـ: نعم يا أخا ضمرة، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك.

وكان النبي ﷺ ـ قبل معركة بدر الكبرى ـ قد عقد بينه وبين قبائل بني ضمرة معاهدة عدم اعتداء، وذلك أثناء قيامه بإحدى الدوريات الاستطلاعية في منطقة (ودان) في السنة الأولى من الهجرة.

لقد أسمع النبي ﷺ سيد قبائل بني ضمرة هذا الجواب الذي عرض فيه إنهاء المعاهدة بينه وبين بني ضمرة ـ في منطقة تموج بالمسلحين من هذه القبائل ـ ولكن سيد بني ضمرة (مخشي بن عمرو) قال للنبي ﷺ ـ في تلطف ووجل ـ: لا والله يا محمد ما لنا بذلك من حاجة، وهذا دليل على أن قوة المسلمين العسكرية يوم ذاك بلغت درجة لم تخش معها أحدًا من هذه قبائل، وأن كل آثار انتكاسة أحد قد زالت». [**الأحزاب لباشميل ٧٨-٧٩**].

ويقول أ/ رضوان: «كان انتصار المسلمين في بدر الآخرة بانسحاب الأعداء دون حرب وجبنهم عن مواجهتهم مع أنهم مكثوا عامًا يعدون أنفسهم لمواجهة مع المسلمين، خير دليل على انقلاب الموقف العسكري بين المسلمين وقريش لصالح المسلمين انقلابًا كاملًا لم تعد بعده قريش تجرؤ على مقابلة المسلمين بمفردها، دون الاستعانة بالكثير من قبائل العرب، كما سنرى ذلك في الخندق.

وكانت هذه الغزوة المباركة هي نقطة الانطلاق لنشر نور الله ﷻ في كل أنحاء الجزيرة وشرق العالم وغربه». [**محمد ﷺ القائد الأعظم لرضوان ٨٢-٨٣**].

ويقول د/ هيكل: «وكذلك محت غزوة بدر الآخرة أثر أُحد محوًا تامًّا، ولم يبق لقريش إلا أن تنتظر عامًا آخر، رازحة تحت عار من جُبنها لا يقل وطأة عن عار هزيمتها في بدر الأولى.

وأقام محمد ﷺ بالمدينة مستريحًا إلى نصر الله إياه، مطمئنًا إلى ما عاد للمسلمين من هيبتهم، حذرًا دائمًا غدرة العدو، باثًّا عيونه في كل النواحي». [**حياة محمد ﷺ لهيكل ٣٢٤**].

ويقول د/ أبو شهبة: «والمتتبع لمجريات الحوادث في هذه الغزوة يرى أن المشركين قد باتوا يخشون المسلمين، ولا يجرؤون على لقياهم، وكأنما كان نصرهم في أُحُد فلتة لا يطمعون في مثلها، فمن ثم لجأوا إلى الحيلة يدرؤون بها عن أنفسهم عار خُلف الوعد باللقاء، ولكنهم لم يفلحوا، وخيب المسلمون ظنونهم، وقد شعر المشركون بأثر تخلفهم في إذهاب هيبتهم المزعومة في النفوس؛ ولذلك قال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد ـ والله ـ نهيتك أن تعد القوم، قد اجترؤوا علينا، رأوا أنا أخلفناهم».

[السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ٢٤٤].

ويقول د/ الوكيل: «وعاد ﷺ إلى المدينة، وقد تكلم الناس بخروج المسلمين ونكوص أبي سفيان، فزادت هيبة المسلمين في نفوسهم، وبخاصة في داخل المدينة، حيث كُبت المنافقون، وأصبحوا بعد إجلاء بني النضير، وخروج المسلمين لمواجهة أبي سفيان، لا يستطيعون أن يرفعوا بعدائهم رأسًا، وذلوا فلم يقدروا على المجاهرة بشيء مما يكنون في صدورهم.

دخل المسلمون المدينة بعد عودتهم من بدر الأخيرة، وقد مضى من شهر ذي القعدة اثنا عشر يومًا تقريبًا، فوجدوا المدينة هادئة، والأحوال مستقرة، وقد أراد الله ﷻ إجلاء بني النضير عن المدينة، قبل خروج المسلمين لهذه الغزوات، حتى لا يثيروا فتنة فيها وقد خلت من أكثر المدافعين عنها».

[تأملات في سيرة الرسول ﷺ للوكيل ١٦٩].

١٥ ـ تشويه الأعداء صورة الدعاة:

يقول م/ أبو راس: «ودار الحَوْل وأخذ الرسول ﷺ بالتجهز للقاء قريش في الموعد المضروب، ونفر المسلمون لملاقاة المشركين حتى وصلوا مع رسول الله ﷺ إلى ماء «بدر» فعسكروا حوله، وانتظروا قدوم أبي سفيان وظلوا ثمانية أيام يرتقبون قريشًا ولكن قريشًا لم تف بكلمتها إذ أن أبا سفيان ما كاد يصل إلى «الظهران» حتى صاح بقومه: «**يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا**».

وعاد أبو سفيان ولكن ما كان الذي قاله وادعاه هو السبب، ولكنه ـ وهو الذي كان قائدًا لفلول قريش في غزوة أحد ـ يعلم أن الذي خطفه يوم أحد لم يكن نصرًا، وإن تخيله كذلك؛ لذا فهو حريص على استبقاء هذا «النصر» وإن كان وهمًا!

وهكذا بالإيمان الصادق، والصبر المثابر، والعمل الجاد، انتقل زمام الأمر في جزيرة العرب مرة أخرى إلى الفئة المؤمنة، فأصبحت القبائل العربية في الجنوب التي كانت تهتبل كل فرصة للإغارة على المسلمين أصبحت تفر في كل اتجاه في اللحظة التي تسمع ببعوثهم وأصبحت تحسب لهم ألف ألف حساب».

[تأملات حركية في سيرة المصطفى ﷺ لأبي راس ٢٣٠].

١٦ ـ أهمية وجود القيادة العسكرية العبقرية:

يقول عميد/ فرج: «يتلاحظ أن رسول الله ﷺ في هذه الغزوة لم يشأ أن يخلف موعده مع أبي سفيان، ولم يكن من المعقول أن يخرج رسول الله ﷺ بأصحابه إلى موقف لم يُعد نفسه له، فهو حين قرر الخروج كان يعتزم لقاء قريش ومواجهتها، وهو بهذا التصميم والعزم كان ـ دون ريب ـ واثقًا من نتيجة هذا اللقاء، ويقول العسكريون إن إحساس القائد هو أهم العُمُد في الحرب، ولقد كان إحساس رسول الله ﷺ صادقًا، وأدرك أصحابه صدق إحساسه فنزعوا من أنفسهم التردد الذي أوجدته دعاية نعيم بن مسعود والمنافقين واليهود، وخرجوا معه، وهكذا تتبين لنا صفتان حيويتان كان يتميز بهما رسول الله ﷺ كقائد عسكري، وهما القدرة على اتخاذ قرار صحيح وصائب، والشجاعة والجرأة في تنفيذ هذا القرار.

ولعل أبا سفيان قد أدرك تميز الرسول ﷺ بهاتين الصفتين فهاب لقاءه، ولجأ إلى أسلوب المناورة خوفًا من نتيجة اللقاء، حتى أن أحد رجاله وهو صفوان بن أمية لامه لأنه وعد المسلمين ثم أخلف وعده قائلًا: «**قَدْ وَاللهِ نَهَيْتُكَ يَوْمَئِذٍ أَنْ تَعِدَ القَوْمَ، وَقَدْ اجْتَرَؤُوا عَلَيْنَا، وَرَأَوْا أَنْ قَدْ أَخْلَفْنَاهُمْ، وَإِنَّمَا خَلَّفَنَا الضَّعْفُ عَنْهُمْ**».

ونقطة أخرى هامة أثارها خروج المسلمين وتقاعس قريش، فمما لاشك فيه أن خروج الأولين رفع روحهم المعنوية، وأعاد إليهم ثقتهم في أنفسهم، وعزز موقفهم داخل المدينة بين المنافقين واليهود، وأكد لهم قدرتهم القتالية وإمكانية مواجهتهم لقريش وهزيمتهم، في الوقت الذي زلزل تقاعس قريش معنوياتهم، وهدم عندهم روح القتال، ودفع اليأس إلى نفوسهم، وأساء إلى مكانتهم بين العرب».

[العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٦٩-٢٧٠].

١٧ـ معركة ثانية على أرض بدر:

يقول أ/ الصوياني: «لقد اغترَّ أبو سفيان ـ قائد قريش ـ بما حدث في أُحُد، فصاح بالنبي ﷺ متحديًا: **مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا** [سبق تخريجه في عرض الغزوة]، كان أبو سفيان ومن معه يريدون أن يملأوا آبار بدر بأجساد المؤمنين مثلما حشر المؤمنون جثث طواغيت قريش في تلك البئر المنتنة على أرض بدر، حلم لقريش، فهل يتحقق.

كان أبو سفيان يريد استغلال مناسبة إقامة موسم بدر، وهو موسم للعرب يجتمعون فيه تجارةً وأدبًا وشعرًا، لكن أبا سفيان أراد أن يجعل للحرب نصيبًا في هذا الموسم، حرب تستعيد بها قريش بعض ما تناثر من هيبتها، حرب يشهدها العرب جميعًا، فليكن لأبي سفيان ما يريد، ها هو ﷺ عندما اقترب موعد إقامة سوق بدر يستعد للسفر، لا للحرب فقط، بل للحرب والتجارة، متجاهلًا كل

صيحات المخذلين والجبناء في المدينة الذين يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فقد ردَّ ﷺ على أولئك المخذلين والجبناء بعزم شاركه به أصحابه ﷺ فقالوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، فامتدح الله هذا الإيمان المتجذِّر، وهذه الثقة الراسخة بالله، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، فـ (قَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا**)، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ فَأَتَوْهُ.

وصل الشجعان إلى أرض بدرٍ فرحبت بهم وتذكرت نصرهم، كانت أرض بدرٍ أرضًا للانتصار، هكذا هي في عقول وقلوب المؤمنين، أما بالنسبة لقريش فهي تذكرهم بالهزيمة، لم يستطع أبو سفيان وجيشه مغادرة مكة ولا الحركة منها، فالتشاؤم يعيقهم عن الحركة، يشلهم عن الوفاء بالوعد والتحدي، أبو سفيان وكبار القوم خائفون، يخشون أن تحشر جثثهم في بئر أخرى، فلم يحضروا، وهكذا انتهت غزوة بدر الثانية قبل أن تبدأ، فليس على الساحة سوى المؤمنين، إنهم يتلفتون فلا يرون أحدًا، يذرعون أرض بدر، يمشطونها بحثًا عن جيش الوثنيين فلا يرون أحدًا، وهكذا انهزمت قريش في معركة هي التي طلبتها وحدَّدت مكانها وزمانها، أما رسول الله ﷺ وجنده، فقد مالوا بمطاياهم نحو موسم بدر (فَأَتَوْهُ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران])، فطلب ﷺ من أصحابه أن يكتبوا هذه الآية وأن يجعلوها بعد الآية السابقة، لتقرأ هكذا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

تفضَّل سبحانه على نبيه ﷺ وصحابته ﷺ بانتصار لم ترق فيه قطرة دم، فباعوا واشتروا وكسبوا، ودعوا إلى التوحيد، وربما كسبوا بدعوتهم تلك أتباعًا ومؤمنين جددًا ينشرون التوحيد في قومهم أو يهاجرون، ثم عادوا شوقًا إلى أهلهم، شوقًا إلى المدينة». [السيرة النبوية للصوياني ٣/ ٥- ٧].